وزير الثقافة الأردني يقدم خطة طموحة لثلاث سنوات قادمة

د. عادل الطويسي: نعمل على إنشاء المجلس الوطني للثقافة وبرنامج تفرغ للمبدعين ودار وطنية للنشر والترجمة

عمان ـ «القدس العربي»:

تذكرت وأنا ألتقي بوزير الثقافة الجديد د. عادل الطويسي حوارين لي مع وزيرة الثقافة السابقة أسمى خضر، والأسبق لها حيدر محمود، اذ أن قدر وزارة الثقافة هو بالتالي قدر الحكومات الأردنية المتعاقبة التي تأتي بسرعة وتذهب أيضا، ما عدا بعض الاستثناءات القليلة التي تدوم مثل وزير التربية، ووزير الأوقاف، وأحيانا وزير الخارجية، فمن غير المعقول أن لا يشمل هذا الاستثناء وزارة مثل الثقافة التي تحتاج الى من يخطط لها، ويتابع خططها لثلاث أو خمس سنوات متتالية على الأقل، ومن غير الانصاف أن نحمل الوزراء السابقين اخفاقات أو عثرات أعمالهم دون أن نعطيهم الفرصة أصلا لوضع خططهم موضع التنفيذ رغم أن بعضهم لم يكن يمتلك أي خطة أصلا، واذا كانت الأردن قد تعرضت خلال العام الماضي الى هجمات ارهابية الطابع هزت وجدان الأردنيين، فان الثقافة تبدو خيارا استراتيجيا يجب العمل عليه اضافة الى الخيارات الأخرى المطروحة أساسا من أجل ايجاد مناخ اجتماعي متوازن بعيدا عن التطرف والنظر الى العالم بشكل أحادي وضيق.

أسوق هذه المقدمة لأدلل على أن الوقت قد حان للانتباه الى دور الثقافة، والى منح وزرائها القدرات المالية والتنفيذية الواسعة من أجل الاصلاح ونشر الوعي، ويبدو الرجل الأكاديمي الجنوبي الملامح د. الطويسي مصمما على العمل منذ اليوم الأول لوضع خطط طموحة، والسير بتنفيذها بكل ما يملك من خبرات أكاديمية وبحثية وادارية واسعة، وحسنا فعل مؤخرا حينما أتى بأمين عام جديد يسانده في خططه ومشاريعه هو الشاعر جريس سماوي صاحب الخبرات المعروفة في حقل الثقافة.

تقول السيرة الذاتية للوزير الطويسي بأنه من مواليد عام 1953، وهو من سكان وادي موسى بوابة البتراء الشهيرة، ويحمل بكالوريس في اللغة الانكليزية وآدابها من الجامعة الأردنية 1978، وحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه في اللغويات من جامعة متشيغان 1987، وقد عمل في حقل التدريس في جامعة مؤتة وعميدا لكلية الآداب فيها، ورئيسا لجامعة الحسين بن طلال في معان لمدة خمس سنوات ثم أمينا عاما لوزارة التعليم العالي 2004، ورئيسا لجامعة آل البيت ثم وزيرا للثقافة، وقد نشر الكثير من الأبحاث العلمية والثقافية المحكمة في المجلات المعروفة، وهو عضو نشط في الكثير من المجالس والاتحادات، ومنها بيت الأنباط (الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري) وهو الرئيس الفخري لها حاليا، كما أنه يحمل وسام الاستقلال من الدرجة الأولى لجهوده.

هنا حوار مع الوزير المتحمس وخططه الجديدة ولا سيما ما يتعلق بالتنمية الثقافية في الأردن وأبرز ما جاء فيها مما ينتظره الكتاب والمثقفون في الأردن بفارغ الصبر:

عادل الطويسي (القدس العربي)

■ من معان في جنوب الأردن الى عمان العاصمة جئت أكاديميا لتخترق الحقل الثقافي في هرمه الأعلى.. حدثنا عن هذه الرحلة من الأطراف الى المركز، ومن التعليم وادارته الى الثقافة وهمومها؟

■ دعني أقل لك أولا بأن ثمة توهما في المصطلحات وتضليلا لا يستند الى الواقع، فأن يكون المرء أكاديميا لا يعني أنه يبدو بعيدا عن حقل الثقافة، اللهم الا اذا تم اختصار الثقافة بالآداب والفنون، وهو اختصار مخلّ بالطبع، فالثقافة هي أسلوب حياة، تشمل مكونات مادية وروحية عديدة، انها باختصار طريقة العيش والتفكير التي يتبناها شعب ما بناء على المعطيات التاريخية والحضارية والاجتماعية والدينية التي يستند اليها، أما بالنسبة للمركز والأطراف، فأجيب بما يتعلق بهذه المسألة أيضا بأن الأردن كله وحدة واحدة، رغم مركزية القرار، وخصوصية العاصمة، وأنا بالتالي نتاج للمركز والأطراف معا، بل وخارج الأردن أيضا من خلال الخبرات الحياتية والدراسية التي أملتها عليّ الظروف، ولقد أتيحت لي الفرصة خلال العشرين عاما الماضية أن أعمل في جنوب المملكة وعاصمتها وشمالها، والواقع أنها جميعا خدمة للوطن واذا كانت الجامعات موئلا للتخصص الأكاديمي فهي كذلك حاضنات للنشاطات الثقافية من خلال ما يسمّى بالنشاطات اللا منهجية للطلبة والمدرسين على السواء، ومن هنا لا نستطيع حقيقة أن نضع ثنائية متضادة بين الجامعات كوسط أكاديمي والوسط الثقافي، لكن لا بد من الاعتراف بتغليب الجانب الأكاديمي على الجانب الثقافي في الجامعات، ان ادارة الجامعة في مقابل ادارة الوزارة هي ادارة العالم المعروف بحدوده مقابل ادارة عالم مفتوح لا حدود له.

■ اذن هل نطمح الى أن توظّف موقعك اليوم لاعادة الانتباه ثقافيا الى حقل التعليم الجامعي على الأقل ...كيف يمكن تحريك هذا الوسط الساكن وضخّه بالفعل الثقافي .. لاحظ معي أن هناك عشرات الآلاف من طلاب الأدب العربي وأساتذته في الأردن وهم لا يكادون يعرفون شيئا عن الأدباء الأردنيين وما يصدر لهم من كتب ..؟

■ هذا أمر يقلقني أيضا، وأعرف أن ثمة تساؤلات تأتي دوما من المثقفين والأكاديميين عن الخلل الذي قد تقع فيه منابر التعليم سواء المدرسية أو الجامعية في اعداد الطلبة، ولا سيما في حقل اللغة العربية وآدابها، وما الذي يمكن عمله لردم الهوة، وتخريج طالب متميز وفاعل، ومشارك في الحياة الثقافية لا أن يكون رقما جديدا في الخريجين. هناك محاولات دائمة لطرح مثل هذه التساؤلات عبر المؤتمرات المتخصصة، وتحقيقات بعض الصحف، والمقالات، ولكني أرى من خلال خبراتي أن طلبة اليوم وأساتذته في الجامعات تثقل كاهلهم متطلبات التخصص الأكاديمي، اذ أصبحت المساقات ذات الطابع التثقيفي ملاذا للطالب لرفع معدل علاماته مع الأسف، ومن هنا لا بد من ايجاد الحلقة المفقودة بين الجهات القائمة على الثقافة والفنون في المجتمع وبين الجهات الرسمية، ومؤسسات المجتمع المدني، والقطاع الخاص، والقائمين على رسم الخطط الدراسية في الجامعات. لقد أغرقنا في معرفة الآخر، ونحن الآن بحاجة الى العودة للتعرف على مكونات ثقافتنا ومقوماتها لنكمل طرفي المعادلة المطلوبة للحوار مع الذات والحوار مع الآخر في عصر تتعرض فيه ثقافتنا الى هجمة منظمة من الغير، وما زلنا نبحث عن الأدوات المناسبة للرد عليها.

سأحاول من جهتي كوزير للثقافة، وكزميل سابق لرؤساء الجامعات والعاملين في حقل التعليم الجامعي، لا سيما في كليات الآداب أن أحض على أن تتبنى هذه الكليات الأدب الأردني، وأن تجتهد في تعريف طلبتها بأعلامه، ولكن كما تعرف فمثل هذه المهمة ضخمة، ويجب أن تتكاتف كل الجهود لتحقيقها.

■ كنت وزير الثقافة الثالث خلال عام 2005 بصراحة كيف وجدت ما تركه من قبلك (عشرون وزيرا أو أكثر) وكيف يمكن أن يعمل الوزير باطمئنان ويرسخ الفعل الثقافي ومشاريعه وهو لا يكاد يعرف إن كان سيبقى أم يذهب... هل من حل لهذه المعضلة برأيك؟

■ هاجس التغيير الوزاري يجب أن لا يطغى على قدرة الوزير في التخطيط، وأنا أرى أن هذه السمة في بلدي الأردن تمنح نوعا من الديناميكية في التخطيط والحركة، ولهذا بدأت منذ اليوم الأول لي على مأسسة العمل في الوزارة، وايجاد المرجعيات التشريعية للجوانب التي لم تغطها خطط من سبقوني من الزملاء، وكما يقال لكل شيخ طريقته وهذا له جانب ايجابي هو التنوع في السياسات ووجهات النظر، لكن لدينا الآن في الأردن مرجعية للعشر سنوات القادمة تتمثل في الأجندة الوطنية، بحيث لا تخضع لتغير الوزراء، وأعود فأقول بأن مصلحة الدولة العليا هي الأساس سواء في ابقاء الوزير في وزارته لسنوات تطول أو تقصر أو في تبديله، وبالنسبة لي فأنا أعتبر نفسي جنديا من جنود هذا الوطن ألبي النداء أينما طلبت، وشعاري «ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، فلا تؤرقني مثل هذه الطروحات بل أعمل باطمئنان على الدوام، فالوطن في النهاية هو الباقي، وما نحن الا بعض زنبقاته.

■ أعلنت مؤخرا بأن لديك خطة للتنمية الثقافية في الأردن خلال السنوات الثلاث المقبلة، هلا وضعتنا في تفاصيل هذه الخطة وامكانية تنفيذها؟

■ خطة التنمية الثقافية في الأردن للأعوام 2006، 2007، 2008 تتضمن رؤية تجيب على السؤال: عن ما هي الثقافة التي نريدها للمواطن الأردني، كما أنها تشخص التحديات التي تواجه التنمية الثقافية في المملكة، وتحدد مرتكزات للبرامج والمشاريع والفعاليات الـ (31) التي تضمنتها الخطة، وفي تفاصيل هذه الخطة مصطلحات جديدة بدأنا بالترويج لها مثل مصطلح التنمية الثقافية ذاته كبعد رابع من أبعاد التنمية في الدولة (الى جانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية)، ومصطلح القوة الناعمة للدولة مكونة من الأبعاد الأربعة المذكورة مقابل القوة الصلبة (القوات المسلحة وقوات الأمن) وهاتان القوتان تشكلان منظومة الأمن الشامل في الدولة، وكذلك مرتكز أن وزارة الثقافة لا تنتج الثقافة بل تقوم برعايتها وخلق البيئة المناسبة للابداع الثقافي من خلال توفير البنية التحتية، والدعم القائم على المؤسسية المقدم للهيئات الثقافية بناء على برامج وخطط وليس أعطيات، وتوفير الحريات الثقافية في اطار مظلة الدستور والقوانين النافذة، وفي الخطة عدد من المشاريع والبرامج الخلاقة مثل: مدن الثقافة الأردنية بحيث تتم تسمية مدينة أردنية كل عام لتتركز النشاطات الثقافية فيها، وبرنامج التفرغ الابداعي، ومشروع جهاز الملحقين الثقافيين السياحيين في الخارج، والبرنامج الوطني لتنمية ثقافة الحوار (تنوير) وبرنامج الثقافة المجتمعية، الاتصال والترويج الثقافي السياحي، تنمية الصناعات الثقافية، انشاء الدار الوطنية للنشر والترجمة، وغيرها كثير .لكن كل هذه تحتاج الى اعادة النظر بالتشريعات وتطويرها، كما أنها تستلزم وجود كادر متخصص ومؤهل، وميزانية معقولة، وهيكلية متطورة للوزارة وأقسامها ومديرياتها، ولا أخفيك أننا نشتغل على كل هذه المسائل معا، وستبدو للكثيرين نتائجها الملموسة قريبا.

■ بالمناسبة فان موضوع التفرغ الابداعي مطلب دائم للمثقفين دعنا نلق الضوء عليه قليلا اضافة الى موضوع المستشارين الثقافيين في الخارج؟

■ يهدف برنامج التفرغ الابداعي الى تفريغ عدد من رموز الوسط الثقافي والفني في المملكة كل عام (قد يصل عددهم الى عشرة سنويا) بحيث تتم دفع رواتبهم ومخصصات أخرى لهم من موازنة وزارة الثقافة مقابل عقد يوقع مع كل منهم يتعهد بموجبه بالخروج بمنتج ثقافي في نهاية العام، مثل تأليف كتاب أو مسرحية أو أغنية أو صناعة حرفية أو فن تشكيلي ذي مواصفات ابداعية عالية وسيقوم على تقييم المنتج مختصون في مجاله، أما في جانب الملحقين الثقافيين السياحيين ففي واقع الحال أن الأشخاص الذين يحملون هذه التسمية حاليا في بعض سفاراتنا في الخارج هم تربويون مهمتهم متابعة أمور طلبتنا في الخارج، وهذا أمر هام، لكن لا بد من اعادة تسميتهم بالمسمى الصحيح، وتطوير جهاز جديد بالتعاون بين وزارتي الثقافة والسياحة ليكون هناك ملحقون يقومون على ترويج المنتج الثقافي والمنتج السياحي الأردني في الخارج وهو ما نعمل عليه الآن، وأعتقد أن هذين المشروعين سنباشر بهما في العام المقبل، بعد انجاز التشريعات اللازمة لهما، ورصد الموازنات أيضا.

■ لاحظت أنك من المهتمين أيضا بموضوع دمج السياحة بالثقافة أو الانتباه الى السياحة الثقافية والترويج لها ربما يتأتى هذا الاهتمام من كونك ابنا بارا للبتراء وعضوا فاعلا في هيئة بيت الأنباط الثقافية.. هلا تعرفنا على خلفيتك في هذا الاتجاه؟

■ ما يجري الآن أن برنامج السائح الأجنبي في الأردن لا يتعدى زيارة الأماكن الأثرية في المملكة مثل البتراء وجرش، ويخلو هذا البرنامج في غالب الأحيان من اطلاع السائح على جزء من ثقافة الشعب الأردني والمنتج الثقافي سواء أكان فلكلوريا أو أزياء أو حرفا أو فنا بجميع أشكاله. ومن هنا بدأت بالتواصل مع زميلي وزير السياحة لادخال السياحة الثقافية في برامج هيئة تنشيط السياحة، وأعتقد أن هذا الأمر سيساهم في تنشيط هذا الجانب، فهناك لدينا الكثير من المتاحف الفنية، والمراكز الثقافية، والمهرجانات المتخصصة في المسرح والغناء والتراث الشعبي، والصناعات التقليدية، وهي تعرف الزائر كما أسلفت على روح الشعب الأردني وتراثه الخلاق.

■ ثمة شكوى دائمة من الكتاب والمثقفين الأردنيين من قضايا عديدة منها عدم وصول كتبهم الى الخارج لسوء التوزيع وارتفاع التكلفة، كما أن الترجمة تبدو غائبة لأعمالهم والتعريف بها دوليا .. فهل ثمة نية لحل مثل القضايا؟

■ هناك عدة مشاريع تضمنتها خطة التنمية الثلاثية تهدف الى تذليل هذه المشكلة ومنها: مشروع انشاء الدار الوطنية للنشر والترجمة، مشروع مكتبة الأسرة، واستحداث مديرية للاتصال والترويج الثقافي في الوزارة، وجهاز الملحقين الثقافيين الذي أوضحته سابقا، هذا بالاضافة الى موضوع بريد المطبوعات ذي التكلفة المعقولة على الكاتب والناشر، اذ لا أخفيك أنني اكتشفت معاناة الكاتب الأردني في ارسال كتبه الى الخارج، كما أن المسألة أيضا تتعلق بالداخل، فبعض المحافظات لا تكاد تصلها المجلات الثقافية والكتب، وأنا في النهاية لا أمتلك عصا سحرية لحل كل الاشكاليات المتراكمة منذ سنوات، لكني أهيب بالقطاع الخاص، والمؤسسات الأهلية هنا أن تساند الجهود الثقافية، وبعضها يعمل هذا منذ سنوات، وله كل الشكر مثل امانة عمان الكبرى، مؤسسة عبد الحميد شومان، وأيضا انضمت بلدية اربد مؤخرا الى هذا المجهود، وهناك مؤسسة خالد شومان والكثير من صالات عرض الفنون الخاصة، ومن الواضح أن قطاع الثقافة في الأردن يحتاج الى تضافر كل الجهود لكي يصل الى ما نطمح جميعا مثقفين وفنانين ومبدعين ومسؤولين، فالثقافة في النهاية هي تلك الروح الحية المتوهجة التي تحلق بعيدا عن رتابة اليومي والمستهلك.

■ ماذا عن تأسيس المجلس الأعلى للثقافة.. هل تم نسيان هذا المشروع، وهل ستظل مسألة شطب الوزارة أو ابدالها بمجلس قائمة تقلق المثقفين والموظفين.. ألا يمكن الاستقرار قليلا حتى تنجز المشاريع؟

■ المشروع حي يرزق وسيعرض على مجلس الوزراء عدة تصورات في هذا الشأن قريبا، وفي ضوء ما سيتوصل له مجلس الوزراء من حيث العلاقة النهائية بين المجلس الوطني للثقافة والفنون ووزارة الثقافة فسيتم تطوير مشروع قانون المجلس الذي خرج فيه المجلس التأسيسي سابقا، ومن ثم السير بالاجراءات الدستورية اللازمة لاقراره وقد ورد هذا الأمر في بيان الحكومة لمجلس النواب ونحن ملتزمون بتنفيذه، وتأكد بأننا لم نهمل أي مقترح مما خرج به المثقفون الأردنيون في مؤتمرهم الوطني الذي رعاه دولة رئيس الوزراء الأسبق، وتعهد لهم فيه ببذل الجهود في الدولة لتنفيذ ما يمكن من المقترحات، مما ينعكس على العمل الثقافي ويساهم في تعزيزه، وسنعلن قريبا عما تم التوصل اليه، ولكن في النهاية أطمئن المثقفين بأنّ أفكارهم التي صاغوها لم تذهب أدراج الرياح، ولكن لا بد من الصبر والتريث أحيانا حتى يؤتي العمل أكله.

■ أخيرا وبصراحة هل أنت متفائل بأنك ستنجز مشاريع كثيرة مؤثرة في ظل ميزانية قليلة، وعدم ايلاء الدولة للثقافة الأولوية لا سيما وأن الجانب الاقتصادي والسياسي والأمني هو الذي يتصدر اهتماماتها منذ سنوات طويلة؟

■ نحن في الأردن تعلمنا القدرة على ادارة الندرة، ونحن قادرون على تعويض الندرة في الموارد بالابداع، ومن هنا وضعت خطة التنمية الثلاثية عدة مسارات، لكل مسار أولويات يمكن اعادة ترتيبها وفقا لتوفر المخصصات، ومن جانب آخر فنحن نجحنا في وضع التنمية الثقافية في مرحلة متقدمة على أولويات الحكومة، وهناك تفهم لا بل ايمان لدى أعضاء الحكومة الآن بأن التنمية الثقافية جزء من منظومة الأمن الشامل بالفعل.

أما الجانب الآخر فاننا سنعمل ما في وسعنا لزيادة ميزانية الوزارة للعام المقبل وما بعده، وذلك لاستيعاب الخطط المطروحة، ومن جهة أخرى سنتعاون مع الجهات الخاصة والمؤسسات الأهلية، وبعض الوزارات لتنفيذ بعض المشاريع المدعومة من قبلهم، من أجل اشراك الجميع في مسيرة الثقافة في بلدنا العزيز اضافة الى القطاعات الأخرى، التي يولي جلالة الملك عبد الله الثاني لها كل جهوده عربيا ودوليا، كما أن دولة رئيس الوزراء من المتحمسين والداعمين الأساسيين لهذا القطاع، وأهمية دوره في التنمية والتطوير.

أغرقنا في معرفة الآخر ونحن الآن بحاجة للتعرف على مكونات ثقافتنا لنكمل طرفي المعادلة المطلوبة للحوار مع الذات والآخر في عصر تتعرض فيه ثقافتنا الى هجمة منظمة

التقاه: يحيى القيسي

«السرد ووهم المرجع» للسعيد بوطاجين

حول بعض الأحكام المثيرة لعلامات الاستفهام

بشير مفتي *

■ صدر مؤخرا للقاص والأكاديمي السعيد بوطاجين كتاب جديد بعنوان «السرد ووهم المرجع ـ دراسات في النص السردي الجزائري الحديث»، عن منشورات الاختلاف والذي يضم مجموعة من التحليلات السيميائية لمجموعة من النصوص الروائية والقصصية من بينها دراسة عن «الانطباع الأخير» لمالك حداد، ودراسة أخرى عن «تيميمون» لرشيد بوجدرة، ودراسة مطولة عن شعرية الرواية عند المرحوم عبد الحميد بن هدوقة، كما أفرد للروائي الحبيب السائح دراستان الأولى عن «ذلك الحنين» حيث درس اللغة المسرودة، أما الثانية فشملت رواية «تماسخت. دم النسيان»، وتناول فيها موضوع لغة اللغة، على اعتبار أن تحليلاته قادته إلى اكتشاف أن السائح يشتغل على مستويات متعددة من اللغة، كما شمل الكتاب دراسة عن قصص المرحوم عمار بلحسن، بعنوان «كيف سردت قصص بلحسن» وأخرى عن بن هدوقة مرة أخرى، في قصصه التي نشرت بعد وفاته «ذكريات وجراح» وعلى العموم فإن أغلب الدراسات فرضتها ملتقيات جامعية، ولم تكن انطلاقا من رصد نقدي للساحة الأدبية الجزائرية وما تزخر به اليوم من تنوع وتعدد كبيرين لا يمكن لأي ناقد أن يتجاهلها، أو يمر عليها مرور الكرام، وإذا كان الجانب التطبيقي يطغى على مساحة الكتاب، وهو شيء محمود طبعا في الممارسة النقدية، وله قيمته التعليمية دون شك، وقد يساعد الطلبة في معاهد الأدب خاصة على استيعاب المناهج الحديثة والسيميائية بشكل خاص من خلال الممارسة وليس التنظير، وفي هذا المجال لا أحد يشك في مكانة السعيد بوطاجين العلمية ومقدراته السيميائية التي يبرع فيها براعة خاصة بالرغم من أنه على عكس الكثيرين، يراوغ من حين لآخر المنهج، أو يحاول أن ينحت مصطلحات خاصة به مثل مصطلح «اللاسرد» كما يظهر عليه أحيانا تخشب وتمسك حرفي يجعل للمنهج مكانة أهم من النص في حد ذاته.

طبعا لن نناقش خيارات السعيد بوطاجين الذوقية، ولا ميولاته لهذه النصوص دون غيرها، خاصة إذا عرفنا سياقات كتابتها والمرتبطة بالجامعة وملتقيات محددة، وطبعا لا أحد يقدر على مناقشة شخص في قراءاته حتى لو لم تعبر عن حيوية الكتابة الأدبية في الجزائر، والتي يبدوا أن لدارسنا موقفا خطيرا منها، وهو ما يبرزه في المقالة الأخيرة من الكتاب، والتي عنونها بـ«الرواية غدا» حيث يطرح في هذا المجال الضيق أحكاما وتصورات عن المتن الروائي الجديد، وأحكاماً كثيرة تخرجه أولا من صورته العلمية المنهجة في الجانب التطبيقي الأول وتضعه في صورة الوصي بصورة غير نقدية على من كتبوا في العشرية الأخيرة، وبالرغم من أنه يستثني من حين لآخر بعض الأصوات لكن لا يذكر أسماءها كما يوجه جام غضبه على العموم دون أن يقدم مثالا واحدا، أو حتى استشهادا بنص يدلل به على ما يذهب إليه، فالأحكام تكاد تكون جاهزة، كما يظهر عداء سافر للحداثة، ويحملها ما لا تحتمل من النعوت والأوصاف، ويجعل من أمرها مجرد موضة غير جديرة بالتوقف والتأمل، بل هي وسيلة يخفون بها عيوبهم كما تشي به بعض العبارات اللامنطوق بها، من مثل «أما ما حدث للرواية الحداثية في الجزائر، التي انصهرت في الأزمة، فإنها عادة ما اتكأت على النسخ بمفهومه الآلي، الأمر الذي أبرز محدوديتها، وانغلاقها على مستويات كثيرة، اللغة،الأساليب، القراءة، لمتخيل.» (ص 185 من الكتاب).

ومثل هذه الأحكام سنعثر عليها في كامل المقالة، غير أن مثل هذا النسخ الآلي نجده في روايات بن هدوقة بشكل أكثر تفشيا بالرغم من أن السعيد يدرس شعريته فرواية «غدا يوم جديد»، أضعف شعريا بكثير من رواية كمال ببركاني «امرأة بلا ملامح» أو شهرزاد زاغز «بيت من جماجم»، أو سفيان زدادقة في «كواليس القداسة» أو حميدة العياشي «متاهات ليل الفتنة»..الخ أي أن من ربما يتحمس لهم الناقد السعيد لا يعبرون بشكل أو بآخر عن مغامرات إبداعية، ولا يعتبرون فلتات جمالية مهمة، كما أن رواية «تيميمون» هي من أفقر الروايات لغة بالمقارنة مع ما كتبه من قبل بوجدرة في أعماله السابقة، بل هي أقرب للوثيقة التاريخية التي تدين الإرهاب والعنف منها للرواية الجديدة التي درج بوجدرة على كتابتها في السابق، أما بالنسبة للروائي حبيب السائح فأعماله محل نقاش، فهي بقدر ما تبدو تجريبية أو «ما بعد حداثية» كما يسميها هو، فإنها روايات تحاكي المتن التراثي وفي هذا ما يدعو للحوار النقدي، وطريقة إنشاء علاقة صحية مع الحكايات التراثية أو السرد الماضوي، وهل المحاكاة هي فعل إبداعي أم لا؟ لهذا فإنه يظهر لي كقارئ قبل كل شيء، ومعني بمسألة السرد الروائي والقصصي أن السعيد لم يكن حريصا على رصد تجارب الحداثة والاختلاف التي برزت في السنوات الأخيرة والتي برز معها هو أيضا مثلما فعل مثلا الناقد أحمد يوسف عندما تناول مسألة الشعر الجزائري، وحسم في المسألة بشكل نقدي جريء ومتمكن، في كتابه النقدي الرائد «يتم النص، والجينيالوجيا الضائعة تأملات في الشعر الجزائري المختلف» والصادر أيضا عن منشورات الاختلاف، بل ترك نفسه يجاري بعض الأحكام المسبقة التي تفرضها بعض المؤسسات التي تريد أن يبقى الأدب الجزائري ملخصا في هذا الاسم أو ذاك.

طبعا تبقى كل هذه الملاحظات مجرد انطباعات وتساؤلات وإشارات وهي لا تدعي طبعا أي حكم مسبق لأن كتاب «السعيد بوطاجين» الجديد مهم على أكثر من صعيد، وربما تكمن أهميته بشكل خاص في أنه يفتح الحوار من دون غش أو نفاق.

* كاتب من الجزائر

هامش:

ـ السعيد بوطاجين باحث أكاديمي مهتم بالسيميائية ترجمة وكتابة ومبدع متميز في القصة القصيرة وصدر له في ذا المجال «ما حدث لي غدا» و«وفاة الرجل الميت» و«اللعنة عليكم جميعا» عن منشورات الاختلاف.

طبع «مقدمة في فقه اللغة العربية» للويس عوض بعد 25 عاما على مصادرته

القاهرة ـ من سعد القرش:

منذ ربع قرن صدم كتاب «مقدمة في فقه اللغة العربية» للكاتب المصري الراحل لويس عوض المؤمنين بقداسة اللغة العربية وأزليتها والمعتقدين بنقاء لغة القران من أي لفظ غير عربي. وهز الكتاب كثيرا من هذه الثوابت قائلا ان العربية وهي لغة حديثة مقارنة بغيرها لم تكن لغة ادم ولم تكن مسطورة في اللوح المحفوظ. وأثار الكتاب موجة من الاعجاب بما اعتبره البعض أصالة في البحث التاريخي واللغوي المقارن في حين رأى اخرون أن الكتاب «أباطيل ومفتريات».

ويرى بعض المتحمسين للكتاب أن عوض الذي منع كتابه انذاك لم يأت بجديد وانما أعاد قراءة اراء واجتهادات قديمة لم يكن أصحابها ضحية عنصرية لغوية ولم يجدوا حرجا في استفادة العربية بألفاظ من لغات أخرى وتطويعها.

وطرحت دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة طبعة جديدة من الكتاب في 680 صفحة كبيرة القطع تتضمن مقدمة تقع في 22 صفحة بعنوان «الكتاب والقضية» لنسيم مجلي الذي وصف الكتاب بأنه موسوعة فكرية ولغوية مشيرا الى أنه كان ممنوعا في مصر منذ ربع قرن في حين يباع علنا في دول عربية. وصدر الكتاب عام 1981 عن دار نشر حكومية هي الهيئة المصرية العامة للكتاب حين كان يرأسها الشاعر المصري صلاح عبد الصبور الذي رحل في أغسطس اب من العام نفسه.

ويشير عوض «1915 ـ 1990» الى أن قدماء المصريين في الالف الثاني قبل الميلاد عرفوا حضارات وأمما لها حدود جغرافية وتعاملات مع المصريين مثل الحيثيين «1550 ـ 1269 قبل الميلاد» وفي الالف الاول قبل الميلاد عرفوا الاشوريين والفرس والبطالسة في حين لم يرد للعرب ذكر في التاريخ الفرعوني.

ويضيف أن أول ظهور للعرب على مسرح التاريخ في الشرق الاوسط ورد في نص شالمانصر الثالث ملك اشور «859 ـ 824 قبل الميلاد» في نص من مكتبة اشور بانيبال ملك الاشوريين «669 ـ 630 قبل الميلاد». والنص يشير الى ملكات العرب. وكانت المرأة في المراحل المبكرة من تاريخ القبائل العربية هي رأس القبيلة وتحمل أشهر القبائل أسماء مؤنثة مثل أمية وربيعة وكندة ومرة. ويسجل الكاتب أن حركة التدوين بالعربية بدأت «لاول مرة» في القرن الثاني قبل الميلاد وهكذا يكون العرب أمة حديثة نسبيا. ونوه الى أن التأريخ للحضارات عادة يكون ببداية عصر التدوين واستعمال الابجدية. ويشير عوض الى أن أقدم نص عربي معروف يرجع الى عام 328 ميلادية وهو شاهد قبر امرؤ القيس بن عمرو المتوفي في ذلك العام ويسمي صاحبه «ملك العرب كلهم» ويسجل أن امرؤ القيس هذا كان نائب قيصر الروم أو بيزنطة في بلاد العرب. العرب وفقا لهذا الرصد موجة متأخرة جدا من موجات بشرية هبطت شبه الجزيرة العربية من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الاسود قبيل بداية الالف الاولى قبل الميلاد. ولعل عدم اقامتهم بالعراق أو الشام يعود الى وجود أقوام مستقرة أكثر قوة وتحضرا فذهبوا الى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة العربية حاملين لغتهم القوقازية. ويرجح الكاتب أن العرب هبطوا شبه الجزيرة على سكان «أصليين» منهم الهكسوس المطرودين من مصر في القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث نقل الهكسوس الى شبه الجزيرة ما حملوه من مصر من معتقدات دينية ورواسب لغوية مضيفا أن المرحلة الهكسوسية ربما تمثل مرحلة الجاهلية الاولى.

ويضيف أن العبادات المصرية القديمة لم تكن مجهولة في شبه الجزيرة العربية في الجاهلية. ويشير الى أن في مخالطة العرب بعد أن جاءوا بلغتهم ومعتقداتهم القوقازية للسكان الاصليين تفسيرا لوجود «كثير من الالفاظ المصرية القديمة في اللغة العربية القرشية التي تسلمناها عن العرب بعد الفتح العربي وبهذا وحده نستطيع أن نفسر الاثار الواضحة للديانات المصرية القديمة ومصطلحاتها في لغة الجاهلية القريبة وفي بعض معتقداتها الدينية».

ويعتبر المؤلف أن التفاعلات اللغوية في هذه المنطقة خاصة في لغة قريش كانت سببا في انضاج اللغة العربية ومنحها مرونة وخصوبة أهلتها أن «تكون وعاء لوحي عظيم في عصر الرسول وأداة صالحة للتعبير الفكري العميق حتى عصر ابن خلدون نحو 1400 ميلادية مما أهلها أن تقهر بعض ما جاورها من اللغات تماما كما قهرت اللاتينية عديدا من لغات أوروبا التي فتحها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى».

ويرى عوض أن العربية لغة محدثة «وأنها لم تكن لغة ادم في الجنة الاولى ولا كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل بدء الخليقة».

ويضيف أن المصريين المسلمين لم يأخذوا اللغة العربية بحرفيتها وانما مزجوها بألفاظ قبطية تنتمي الى اللغة الديموطيقية وهي العامية في مصر القديمة. ويشير عوض الى أن التكوين الاساسي للفكر الاسلامي بني على عمادين هما مدرسة الاسلام ومدرسة العروبة.

وتعطي الاخيرة قداسة وشرفا للعربية وللعرب على غيرهم لحكم العالم الاسلامي وكان أول مظاهر الاحتجاج على الربط بين العروبة والاسلام هو الانشقاق على الخلافة متمثلا في حركتي الشيعة والخوارج حيث رأت الاخيرة أن الامارة ليست وراثية وانما لمن تختاره الجماعة ولو كان عبدا أسود. أما الشيعة فاحتجوا «على حكم قريش والعرب للدولة الاسلامية فقد قبلوا الاسلام دينا ولكنهم رفضوا الحكم العربي دولة...قامت عقيدة الشيعة السياسية على أن الامامة وراثية في أهل بيت الرسول وهو مبدأ غريب على أصول الحكم في الاسلام وعلى أصول الحكم عند العرب أنفسهم».

لويس عوض بريشة البهجوري

ويرصد الكاتب الاختلافات بين الطرفين باعتبار الشيعة دعاة حق الهي والخوارج دعاة حق طبيعي مشيرا الى أنهما «كانا يلتقيان في شيء خطير أخطر ما يكون وهو الثورة على الحق العربي وعلى السلطة العربية اللذين قدمهما بنو أمية بنو قريش كبديل للحق الديني الهيا كان أو انسانيا ليثبوا به أن العرب أولى من غيرهم من المسلمين بحكم أمة المسلمين بدعوى أن النبي عربي قرشي وبدعوى أن القران نزل بلغة العرب وبلهجة قريش... نظرا الى حكم بني أمية على أنه فترة الاستعمار العربي باسم الدين واللغة لما فتحه المسلمون لا العرب وحدهم من أمصار غير عربية دخلت الاسلام وتكونت منها الامة الاسلامية. فهي بهذا المعنى حركات قومية تحررية أو شعوبية كما كان يقال بلغة ذلك الزمان».

ويرى الكاتب أن الصراع بين العرب والشعوب التي حكموها باسم الاسلام اتخذ أقنعة أيديولوجية متعددة فأصحاب نظرية تقديس اللغة العربية نقلوا فكرة اعجاز القران الى فكرة اعجاز اللغة نفسها وهي النظرية التي سخر منها الشاعر أبو العلاء المعري. ويضيف أنهم حرصوا على اثبات نقاء لغة القران من كل كلمة أعجمية أما الشعوبيون فأثبتوا أن بالقران ألفاظا أعجمية مثل قسطاس اليونانية الرومية وتعنى ميزان واستبرق الفارسية وتعنى الديباج الغليظ وطوبى الهندية وتعنى الجنة وأرائك الحبشية وتعنى سرر وقطنا النبطية وتعني كتابنا.

ويقول ان كتاب «المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم» الذي ألفه أبو منصور الجواليقي «1073 1145 ميلادية» أثبت أن العربية فيها من الالفاظ الاجنبية قرابة 1500 كلمة وأن مئات من هذه الالفاظ كانت متداولة لدى العامة كما استخدمها الشعراء في صدر الاسلام وفي الجاهلية وبذلك تكون من صلب اللغة العربية أيام الوحي. ويسجل أن جلال الدين السيوطي الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي يرى أن القران احتوى على ألفاظ من لغات أخرى «وهو بذلك يرى أن وجود الالفاظ المعربة في لغة القران ليس غضا من اعجازه وانما مزية يمتاز بها على سائر الكتب المقدسة».

ويعتبر الكاتب أن البحث في لغة ما عن أصول بعيدة فيها للالفاظ الوافدة اليها من أشكال التزمت والعنصرية اللغوية. ويضيف عوض أن هذا مناهض لقوانين تطور الاحياء واللغات «بل ان رفض العرب في الدولة العربية امتصاص الاعاجم أو تسويتهم بالعرب في حق المواطنة هو الذي أجج روح الشعوبية وألب أبناء الامصار على العرب ومزق دولتهم تمزيقا». ويشير الى أن اللغات والاديان والاجناس تتعايش داخل القومية الواحدة في حالة الاستقرار أما في حالة البداوة فوحدة اللغة أو العنصرية هي علامة القومية مشيرا ال